المعادل اللغوي

دراسة تطبيقية في ضوء النص القرآني

أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك

أستاذ الأدب والنقد

وعميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين

جامعة الأزهر - القاهرة

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

وبعد:

فبعد ثورات الربيع العربي التي أزاحت عن صدورنا عددا من الطواغيت التي كانت جاثمة عليها، وبدأنا نتنفس نسيم الحرية، ونستعيد الثقة في أنفسنا، وندرك أن ما كان مستحيلا بالأمس صار اليوم ممكنا، وأن العقلية العربية قادرة على التحدي، وعلى اللحاق بركب الحضارة والمدنية والتقدم والرقي، بل إنها قادرة على الإبداع والتفوق، شريطة أن نثق بأنفسنا، وأن نحسن التخلص من العقد الكامنة فيها.

ومن أهم هذه العقد في نقدنا الحديث أن المصطلح النقدي الحديث أو المعاصر يكتسب قيمة كبيرة إذا ارتبط بناقد أو كاتب أجنبي أو انبثق من نظرية أجنبية، وأنه لا يكتسب القيمة نفسها عند كثير من الحداثيين إذا اقترن باسم الجاحظ، أو ابن قتيبة، أو ابن طباطا، أو قدامة بن جعفر، أو الآمدي، أو الجرجاني، أو أبي هلال العسكري، أو المرزوقي، أو ابن

رشيق، أو عبد القاهر، أو ابن الأثير، أو العلوي، وغيرهم من أعلام النقد الأدبي العربي القديم، ناهيك عن اقترانه باسم كاتب أو ناقد عربي حديث أو معاصر، فما ظنك إذا كان هذا المصطلح نتاج بحث وفكر لكاتب أو ناقد من غير هؤلاء الأعلام والمشاهير في سماء الإعلام العربي؟!

كل ذلك قد جعل ثقة بعض الباحثين في أنفسهم، وجرأتهم على الإبداع، وقراءتهم للتراث قراءة جديدة، وإعادة إنتاجه وصياغته وفق رؤى عصرية جديدة أمراً محل كثير من التردد، أو الخوض فيه على استحياء.

ومن ينظر في بعض المصطلحات النقدية الحديثة والوافدة يظن للوهلة الأولى أنها مصطلحات حداثية صرفة، لكنه بشيء من المراجعة لكنوز التراث وذخائره يدرك أن هذه المصطلحات ضاربة بجذور راسخة في أعماق تراثنا الأدبي والنقدي، فمصطلحات: الانحراف، والانزياح، والتخطي، والتحول والخروج، والتجاوز، والاختلال، والإطاحة، والانتهاك، وخرق السنن تُردُّ في جملتها إلى مصطلح العدول الذي ذكره ابن الأثير وغيره من النقاد العرب القدماء، وإن كثيراً من المصطلحات النقدية الحديثة كالحضور والغياب، والخفاء والتجلي، والمسكوت عنه، ترجع في مضمونها إلى قضايا الحذف والذكر التي تناولها البلاغيون والنقاد القدماء.

وليس معنى ذلك أنني أريد أن أقف عند هذا القديم لا أتجاوزه، فأنا مع الإفادة من كل جديد وعصري لا يتناقض مع هويتنا العربية الإسلامية أو يدعو إلى القطيعة معها، بل إنني أدعو بإلحاح إلى إعادة قراءة تراثنا النقدي قراءة جديدة واعية في ضوء معطيات عصرنا الحاضر، قراءة لا تتنكر للقديم ولا تنسلخ منه، ولا تنعزل عن الحاضر، والحديث، والوافد، أو ترفضه لمجرد حداثته أو كونه وارداً من ثقافة الآخر، إنما ندعو إلى نظرة متوازنة تؤسس لبناء نظرية عربية في النقد الأدبي تنبثق من جذورنا اللغوية والبلاغية والنقدية، وتفيد من الدراسات الحديثة والعصرية، تطعّم بالجديد والمختلف، لتثمر شيئا جديدا خاصا بنا، يحفظ لنا هويتنا وخصوصيتنا، ويكون درعنا الحصينة الواقية في زمن العولمة.

ولم أتردد عندما اختمرت في ذهني فكرة المعادل اللغوي كتعبير عن إصابة المحز في التواءم بين اللفظ والمعنى، واعتبار هذا المصطلح النقدي تعبيراً عن قمة المشاكلة بين اللفظ والمعنى التي نادى بها نقادنا القدماء.

واخترت التطبيق على النص القرآني لكونه على قمة البلاغة وفي أعلى درجاتها في تحقيق هذه المشاكلة، ولثراء الجانب التطبيقي سواء في مفرداته اللغوية أم في تراكيبه

وبناه الأسلوبية.

ويأتي تناولي لهذا الموضوع في مبحثين:

المبحث الأول: المعادل اللغوي: تأصيل نقدي.

المبحث الثاني: المعادل اللغوي: دراسة تطبيقية في ضوء النص القرآني.

وإني لأسأل الله السداد والتوفيق، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، متقبلا في خدمة القرآن الكريم وتجلية بعض وجوه الإعجاز فيه، إنه - سبحانه - ولي ذلك والقادر عليه.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل

أ.د. محمد مختار جمعة مبروك

أستاذ الأدب والنقد

وعميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية

جامعة الأزهر

المعادل اللغوي: تأصيل نقدي

المبحث الأول:

المعادل اللغوي: تأصيل نقدي

أولاً: مفهوم المصطلح:

أ- في اللغة:

المعادل اسم فاعل من عادل يعادل معادلة، يقال: عادل الشيء بالشيء إذا سوّاه به، وجعله مثله، وقائماً مقامه، ومنه شهادة المعادلة[١].

ويقال: هو يُعدِّل أمره ويعادله إذا توقف بين أمرين أيهما يأتي، أي أنهما عنده مستويان تمام الاستواء لا يقدر على اختيار أحدهما ولا يترجح عنده[٢]، فكل منهما يكافئ الآخر ويعادله.

واللغوي: المنسوب إلى اللغة، وهي ما يعبر به الناس عن معانيهم وأغراضهم ومضامينهم.

ب- في الاصطلاح:

ونقصد بالمعادل اللغوي: ما يعبر به المبدع عما يجول بخاطره، بحيث يكون تعبيره في أعلى درجات المشاكلة والمواءمة بين لفظه ومعناه.

ج- العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي:

تتمثل العلاقة بين المعنيين في قمة المشاكلة والتكافؤ بينهما، فكما أن المعادل في اللغة هو المتوقف بين أمرين لا يقدر على اختيار أحدهما على الآخر أو ترجيحه عليه فإن المعادل اللغوي

---

(١) المعجم الوسيط: مادة "عدل".

(٢) انظر لسان العرب: مادة "عدل".

ينبني على منتهى التوافق والتواءم بين اللفظ والمعنى، بحيث إذا ما لجأ المبدع أو الناقد إلى سائر الحقول الدلالية، وأعمل فكره، وأجال نظره، وأجهد عقله في النظر في عمليتي الاستبدال الأفقي والرأسي لعاد إلى تعبيره الأول وما استطاع هو أو غيره استبدال مفردته أو بنيته الأسلوبية بمفردة أو بنية أخرى، لأن المفردة أو البنية التي اختارها هي المعادل اللغوي الأنسب أو الوحيد الذي لا يقوم مقامه غيره في هذا الموضع أو ذاك.

د- لماذا هذا المصطلح دون سواه ؟

آثرت اختيار هذا المصطلح دون سواه لسببين:

أولهما: لأنه – فيما أرى – الأكثر تحديدًا و دقة وتعبيرًا عن المفهوم الذي أريده.

الآخر: الخروج من دائرة الاتساع التي يدور حولها المعادل الموضوعي وكثرة التفسيرات التي تكتنفه، فهناك من يقترب في مقاربته له من مفهومنا للمعادل اللغوي مع شيء من التوسع يتجاوز اللفظة والعبارة إلى الطريقة الكلية للتعبير عن المشاعر[1]، وهو ما يمكن أن نطلق عليه: "المعادل التعبيري".

ومن هؤلاء أ.د/ محمد عناني الذي يرى أن المعادل الموضوعي عند إليوت يعني الطريقة التي تعبر عن المشاعر، وتعتبر المقابل المادي لها، لأن إليوت يقول: إنه إذا زادت

---

(١) انظر: المصطلحات الأدبية الحديثة د. محمد عناني ص٥٤، ٥٥ ط مطابع الأهرام التجارية نشر الشركة المصرية العالمية، وشركة أبي الهول للنشر سنة ٢٠٠٣م الطبعة الثانية.

المشاعر المجردة عن الأشياء المجسدة التي تعبر عنها أصبح العمل الفني غامضا، وإذا زادت الأشياء المجسدة عن المشاعر نتج ما نسميه الإسراف الشعوري أو التهافت العاطفي، فالتعادل يعني تساوي الكفتين في العمل الفني[١]، وهناك من ينحو في فهمه وتفسيره للمعادل الموضوعي منحى آخر يقترب به من دائرة الرمز أو القناع[٢].

وهناك من يفهم المعادل الموضوعي على أنه ما يقابل العواطف والمشاعر والانفعالات من قالب تعبيري، وهو وعاؤها المادي سواء أكان تعبيراً ماديًا أم رمزيًا، يقول أ/ محمد عزام: المعادل الموضوعي هو الطريقة الوحيدة للتعبير عن العاطفة في قالب فني، هو بناء مجموعة من الموضوعات أو المواقف أو سلسلة من الأحداث لتصبح وعاء لهذه العاطفة الخاصة، بحيث تتفجر هذه العاطفة في الحال عندما تقدم الأحداث الخارجية موضوعة في تجربة حسية[٣]، وينبغي أن يكون التعادل بين الشيء المادي أو الرمز وبين الانفعال الذي يثيره تامًا[٤].

---

(١)المرجع السابق ص٥٤، ٥٥.

(٢) المعادل الموضوعي في الشعر الجاهلي أ.د/كاظم الظواهري ص٣٠ – ٣٤ نشر دار الهداية ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م الطبعة الأولى، وسينية البحتري: شاعرية المكان، المعادل الموضوعي، الرسم بالكلمات، أ.د/ زكريا النوتي ص١٩، ٢٠ ط شركة ناس للطباعة سنة ٢٠٠٤م الطبعة الأولى.

(٣) المنهج الموضوعي في النقد الأدبي: دراسة، للأستاذ/ محمد عزام ص٢٨ نشر اتحاد الكتاب العرب سنة ١٩٩٩م.

(٤) المرجع السابق ص٣٠.

ويقول: ولكن النسيج أو الهيكل المادي يقاوم التعادل العملي، ولا يمكن للقارئ معرفة أي شيء تقوله القصيدة بعيدًا عن كلماتها، والقيمة الشعرية لا تكمن فيما تقوله القصيدة، ولكن فيما تكونه، أي الشيء المادي الذي يجعلنا ندرك انفعال الشاعر الأصلي[١].

وأرى أن الذي أدى إلى اتساع دائرة مصطلح المعادل الموضوعي واختلاف وجهات النظر في تحديد مدلوله وفي تطبيقاته أمران:

أحدهما: ما ذكره د. محمد عناني، وهو عدم الدقة في ترجمة المصطلح ونقله إلى العربية[٢].

الآخر: أن إليوت استخدم هذا المصطلح لأول مرة في مقال له عن مسرحية "هاملت" لشكسبير، فقال: إن مسرحية "هاملت" غير ناجحة من الناحية الفنية لأنها عجزت عن أن تضع لنا عواطف المؤلف في معادل موضوعي، على العكس من بعض مآسي شكسبير الأخرى الناجحة التي تتحقق فيها نظرية "المعادل الموضوعي"، ويشرح إليوت ما يقصده بهذا المصطلح فيقول: إن الطريقة الوحيدة للتعبير عن العاطفة في قالب فني إنما تكون بإيجاد معادل موضوعي لها، وبعبارة أخرى مجموعة من الموضوعات، أو موقف، أو سلسلة من الأحداث، تشكل وعاء لهذه العاطفة الخاصة، بحيث تتفجر هذ العاطفة في الحال عندما

---

(١) المرجع السابق ص ٣٠.

(٢) المصطلحات الأدبية الحديثة د. محمد عناني ص ٥٣.

١٢ تقدم الأحداث الخارجية موضوعة في تجربة محسة[١].

وهذا التعبير ينسجم مع البناء الروائي والمسرحي، وربما ينسجم إلى حد ما مع الشعر التمثيلي، لكن نقله برمته دون مراجعة، ومحاولة تطبيقه نصًا على الشعر العمودي أدى إلى شيء من الخلخلة في فهم المصطلح وفي تطبيقاته.

على أن إليوت نفسه توسع في مفهوم المعادل، ليستخدمه بمعنى المكافئ أو المقابل سواء أكان تعبيرًا مقابلا لفكر وعواطف وانفعالات تضمن رمزًا أو لا، أم كان فكراً مقابلاً لفكر أو فناً مقابلاً لفن، يقول: إن النظرة إلى الحياة التي تتكشف في أنضج قصائد ريلكه إنما هي ضرب من المعادل الشعري لفلسفة نيتشه[٢].

خلاصة القول:

وخلاصة ما أميل إليه بعد هذا العرض أن إصابة المحز في مشاكلة اللفظ للمعني إذا وقعت موقعها وجاءت في صورة رمزية أو متضمنة معنى الرمز أو معنى القناع كان الأدق فيها هو تعبير "المعادل الموضوعي" وأن هذا المصطلح يأتي أبرز ما يكون في البناء الروائي والمسرحي والشعر التمثيلي.

أما إذا كانت هذه المشاكلة لا تتضمن رمزًا أو قناعًا وقصد بها مجرد إصابة المحز في مشاكلة اللفظ لمعناه كان الأدق هو تعبير

---

(١) انظر: في نقد الشعر د. محمود الربيعي ص١٥٧ ط دار غريب للطباعة والنشر بالقاهرة، نقلا عن مختارات نثرية لإليوت.ص١٠٢.

(٢) انظر: المختار من نقد: ت. س. إليوت، اختيار وترجمة ماهر شفيق فريد، تقديم د. جابر عصفور ص١١٧، نشر المجلس الأعلى للثقافة سنة ٢٠٠٠م.

المعادل اللغوي الذي يشمل اللفظة المفردة باعتبارها معادلاً لفظيا، والعبارة أو الجملة أو التركيب باعتباره معادلاً أسلوبيًا، وأن السياق الأعم الذي يشمل المعادل اللغوي والمعادل الموضوعي معا هو ما يمكن أن نطلق عليه "المعادل التعبيري".

ثانياً: الجذور التراثية للمصطلح:

يعد ابن طباطبا العلوي المتوفى سنة ٣٢٢هـ من أوائل النقاد العرب الذين نصوا على قضية المشاكلة بين اللفظ والمعنى، يقول: "وللمعاني ألفاظ تشاكلها، فتحسن فيها وتقبح في غيرها، فهي كالمعرض للجارية الحسناء التي تزداد حسنًا في بعض المعارض دون بعض"(١).

وفي حديثه عن أدوات الشعر يقول: "وللشعر أدوات يجب إعدادها قبل مرامه وتكلف نظمه، فمن نقصت عليه أداة من أدواته لم يكمل له ما يتكلفه منه، وبان الخلل فيما ينظمه، ولحقته العيوب من كل جهة، فمنها: التوسع في علم اللغة، والبراعة في فهم الإعراب... وإيفاء كل معنى حظه من العبارة، وإلباسه ما يشاكله من الألفاظ حتى يبرز في أحسن زي وأبهى صورة، فتسابق معانيه ألفاظه، فيلتذ الفهم بحسن معانيه كالتذاذ السمع بمونق لفظه"(٢).

ثم جاء المرزوقي فجعل عمود الشعر قائمًا على سبعة أبواب، هي: شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف، والمقاربة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم والتئامها

---

(١) عيار الشعر لابن طباطبا ص١١ تحقيق د. عبد العزيز بن ناصر المانع، ط المدني، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

(٢) المرجع السابق ص٦، ٧ بتصرف

على تخير من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار لـــه، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتـــى لا منـــافرة بينهما[١].

وعيار مشاكلة اللفظ للمعنى عنده طول الدربة ودوام المدارسة، فإذا حكما بحسن التباس بعضها ببعض، بلا جفاء، ولا نبـــو، ولا زيادة، ولا نقصان، وكان اللفظ مقسوماً على رتب المعاني، فهـــو البرئ من العيب[٢].

يقول أستاذنا الدكتور/ محمد السعدي فرهود "رحمـــه الله" فـــي تعليقه على نص المرزوقي: ومشاكلة اللفظ للمعنى تعني موافقتـــه له، وقيام اللفظ بحق المعنى الذي نوى الشاعر إظهاره، وتوفيتـــه على الوجه الذي قصده[٣].

ويؤكد الدكتور/ محمد طه عصر أن قضية المشاكلة بين اللفـــظ والمعنى هي بيت القصيدة فـــي تلـــك العموديـــة التـــي يتطلبهـــا المرزوقي، فالشروط الستة التي تطلبها المرزوقـــي فـــي عمـــود الشعر هي مقدمة لتحقيق تلك المشاكلة، إذ لا تكون المشاكلة دون صحة المعنى، واستقامة اللفظ، والإصابة في الوصف، وهو شيء فطن إليه المرزوقي وقصده قصدًا، حتى كان من موطن الملاحظة أنه جعل اجتماع هذه الأوصاف الثلاثة سببًا لكثرة سوائر الأمثـــال

---

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي تحقيق أ/ أحمد أمين، أ/ عبد السلام هارون ج١ ص٩ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة١٣٨٧هـــ/ ١٩٦٧م.

(٢)انظر: المرجع السابق ص١١.

(٣)انظر: نصوص نقدية لأعلام النقاد العرب لأستاذنا الدكتور/ محمـــد الـــسعدي فرهود "رحمه الله" ص٢١١ ط دار الطباعة المحمدية سنة ١٣٩٥هـــ/١٩٧٥م.

وشوارد الأبيات، ولم يكن بينه وبين اعتبارها سببًا لشعرية النص إلا ضربة معول.

ثم إن المشاكلة تقتضي المقاربة في التشبيه. ومناسبة المستعار منه للمستعار له، ومن ثم التحام أجزاء النظم والتئامها على النحو الذي قرره الأوائل وقام المرزوقي باستلهامه وإعادة صياغته في هذه الأبواب السبعة التي بنى عليها نظريته في عمود الشعر، والتي لا تعدو أن تكون شرحًا لمعيار واحد تتمحور حوله العمودية وهو المشاكلة(١).

على أن مسألة المشاكلة بين اللفظ والمعنى قد أشار إليها عدد غير قليل من النقاد القدماء والمحدثين وإن كان بصورة أقل وضوحًا ومباشرة مما ذكره ابن طباطبا والمرزوقي وأستاذنا الدكتور/ السعدي فرهود والأستاذ الدكتور/ محمد طه عصر.

يقول القاضي الجرجاني المتوفى سنة ٣٦٦هـ: وأقل الناس حظًا في صناعة الكلام من اقتصر في اختياره ونفيه، وفي استجادته واستسقاطه على سلامة الوزن، وإقامة الإعراب، وأداء اللغة، ثم كان همه وبغيته أن يجد لفظاً مروقاً، وكلاماً مزوقاً، قد حشى تجنساً وتصريعًا، وشحن مطابقة وبديعاً، أو معنى غامضاً قد تعمق فيه مستخرجه، وتغلغل إليه مستنبطه، ثم لا يعبأ باختلاف الترتيب، وإضطراب النظم، وسوء التأليف، وهلهلة النسج، ولا يقابل بين الألفاظ ومعانيها، يسبر ما بينهما من نسب، ولا يمتحن

---

(١)خطاب النقد العربي: بنيته، آلياته وأنساقه المعرفية أ.د. محمد طه عصر ص٩٨ ط شركة ناس للطباعة سنة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

ما يجتمعان فيه من سبب[١].

فالقاضي الجرجاني يطلب من المنشئ أو المبدع ضرورة المواءمة بين الألفاظ ومعانيها، ولا يكتفي بذلك، بل يطلب منه سبر ما بينهما من نسب، وامتحان ما يجتمعان فيه من سبب، ووضع كل لفظ لما يناسبه ويتطلبه ويستدعيه من المعاني.

أما الخطابي[٢] فالكلام عنده يقوم على ثلاثة أركان: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، ويرى أن القرآن الكريم إنما أتى في أعلى درجات البلاغة والإعجاز لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، مضمناً أصح المعاني، واضعاً كل شيء موضعه الذي لا يُرى شيء أولى منه، ولا يرى في صورة العقل أمر أليق منه[٣].

ويعلق د. عبد العزيز حمودة على نص الخطابي بقوله: إننا هنا أمام شروط تحقيق الدلالة أو المعنى، وهي وجود نسق من العلامات، كل علامة تتكون من عنصرين الدال والمدلول، وهو ما يحمله قوله: "لفظ حامل، ومعنى به قائم"، لكن هذه العلامات

---

(١)الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني ص٤١٣ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي نشر دار الكتب العصرية بيروت سنة ١٣٨١هـ / ١٩٦٦م.

(٢)هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، ولد سنة ٣١٩م ببلدة بست من بلاد كابل، وهو عالم فقيه، وأديب لغوي، له مؤلفات عديدة، منها: بيان إعجاز القرآن، وغريب الحديث، ومعالم السنن، وكانت وفاته على الأرجح سنة ٣٨٨هـ وقيل سنة ٣٨٦هـ.

(٣)انظر: بيان إعجاز القرآن للخطابي (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم للرماني والخطابي وعبد القاهر) ص٢٩، تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٩١م.

اللغوية تبقى عاجزة عن تحقيق المعنى إلى أن ينظمها نظام علاقات يمكنها مجتمعة من تحقيق الدلالة، وهو ما نفهمه من قوله: "ورباط لهما ناظم".

لقد استغرق العقل الغربي الذي بهرتنا إنجازاته الحداثية ما يقرب من اثنى عشر قرنًا لينتج هذه الصيغة التي أدرنا لها ظهورنا بدلاً من تطويرها[١].

وبهذا يتضح لنا أن قضية المشاكلة بين اللفظ والمعنى ضاربة بجذورها في أعماق تراثنا الأدبي والنقدي، وأن كثيراً من النقاد العرب في عصرنا الحديث قد نظروا بعناية واهتمام إلى تلك المشاكلة وضرورة تحققها في النص الأدبي.

ويأتي تناولنا لمصطلح المعادل اللغوي للتعبير عن تحقق هذا المشاكلة في أعلى درجاتها، بحيث يكون التعبير اللغوي معادلاً ومكافئا للمعنى الذي أراده المنشئ أو المبدع، بحيث لو ذهبنا نبحث وننقب عن أي بديل لغوي أو أسلوبي لعاد الباحث خاوي الوفاض، مسلماً بأن هذا المبدع قد اختار المعادل الذي لا يمكن العدول عنه أو استبداله.

---

(١) المرايا المقعرة د. عبد العزيز حمودة ص٢٣٣، ٢٣٤.

المعادل اللغوي: دراسة تطبيقية في ضوء النص القرآني

المبحث الثاني

المعادل اللغوي: دراسة تطبيقية في ضوء النص القرآني

أولاً: في مجال المفردة القرآنية:

لا شك أن كل لفظة أو مفردة من مفردات القرآن الكريم قد وقعت موقعها، حيث يقتضي المقام ذكرها دون سواها أو مرادفها، فإذا جاءت الكلمة معرفة أو نكرة كان لاقتضاء المقام ذلك، وإذا جاءت مفردة أو جمعاً كان ذلك لغرض يقتضيه السياق، وقد يؤثر النص القرآني كلمة على أخرى وهما بمعنى واحد، ويختار كلمة ويهمل مرادفها الذي يشترك معها في أصل الدلالة، وما كان للمتروك أن يقوم مقام المذكور أو يدانيه بلاغة لو ذكر مكانه[١]، وما ذلك إلا لكون القرآن الكريم تنزيل العزيز العليم الحكيم.

ومن نماذج ذلك:

١- **كلمة "إِصْلَاحٌ" في قوله تعالى:** ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢].

فلو تأملنا هذه الآية جيداً، ونظرنا - على وجه التحديد - في موقع كلمة "إِصْلَاحٌ"، ثم فكرنا في بدائلها اللغوية ومشتقاتها وما يرادفها، وحاولنا أن نضع أي بديل لغوي - رأسياً أو أفقياً - في موضعها لوجدنا أن العربية على عمقها واتساعها عاجزة عن أن توافينا أو تمدنا بكلمة يمكن أن تقوم مقام كلمة "إِصْلَاحٌ" في هذا الموضع.

---

(١) انظر: دلالات الألفاظ وسر الكلمة في القرآن الكريم د. عاطف المليجي ص٨، ٩ ط المؤلف سنة٢٠٠٢م.

(٢) البقرة الآية ٢٢٠.

فالإصلاح أمر جامع لما يحتاج إليه اليتيم، فقد يحتاج إلى المال فيكون الإصلاح براً وعطاءً مادياً، وقد يحتاج إلى من يتاجر له في ماله أو من يقوم على زراعته أو صناعته فيكون الإصلاح هو القيام بذلك، وقد لا يحتاج اليتيم إلى المال، إنما يحتاج إلى التقويم والتربية، فيكون الإصلاح هنا رعاية وتربية، وقد لا ينقصه هذا ولا ذلك، إنما تكون حاجته أشد ما تكون إلى العطف والحنو والإحساس بالأبوة، فيكون الإصلاح إشباع ذلك عنده.

وقد يكون الإصلاح في تقويم زيغه أو اعوجاجه، فقد جاء أحد الناس يسأل النبي ﷺ: مَمَ أضرب يتيمي؟ فقال ﷺ: "مما كنت ضارباً منه ولدك"(١).

فالنبي ﷺ يطلب من السائل وغيره أن يعاملوا اليتيم معاملة أبنائهم، فينظروا إلى ما يصلحه ويقومه ويشد عضده، ومن هنا تلتقي البلاغة النبوية في إيجازها ووفائها بالمراد مع النص القرآني، وإن كان الحديث النبوي قد ركز على جانب واحد من جوانب الإصلاح، وهو التأديب والتقويم، فإن الإصلاح في النص القرآني هو الكلمة الجامعة لما يحتاج إليه اليتيم وما يصلحه.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ وإن كانت قد نزلت في إباحة المخالطة المشروطة بالإصلاح، فقد عبر النص القرآني بـ "إن" دون إذا، لئلا يفتح باب المخالطة على مصراعيه، وحتى لا

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير من حديث جابر بن عبد الله، والبيهقي في السنن الكبرى ج٩ ص٢٨٥، والبخاري في الأدب المفرد باب كن لليتيم كالأب الرحيم، لكنه ذكره موقوفا على ابن سيرين، وروايته: "اصنع به ما تصنع بولدك، اضربه مما تضرب ولدك"، وذكره ابن حجر في فتح الباري ج١٠ ص٤٣٧، كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيماً، شرح الحديث رقم ٦٠٠٥.

تنفلت الأمور، فالتعبير بـ "إن" يُبقي على خيط من الحاجز النفسي لمخالطة اليتيم لتظل مخالطة حذرة، وفي حدود ما يصلح اليتيم، فالمخالطة المباحة - كما يذكر الألوسي في تفسيره - هي مداخلتهم مداخلة يترتب عليها إصلاحهم أو إصلاح أموالهم بالتنمية والحفظ، وذلك خير من مجانبتهم(١).

وقوله تعالى: ﴿لَأَعْنَتَكُمْ﴾ أي لضيق عليكم ولم يجز لكم مخالطتهم، وأصل الإعنات الحمل على مشقة لا تطاق ثقلاً، يقال: عنته إذا شدد عليه وألزمه ما يصعب عليه أداؤه، وأعنته إذا أوقعه في مشقة وشدة(٢)، والكلمة هنا تشكل المعادل اللغوي الأنسب والأدق لما كان يمكن أن يترتب على منعهم من المخالطة، وهي تحمل ضمناً أو وفق مفهوم المخالفة مدى التيسير الرباني في إباحة المخالطة المقرونة بنية الإصلاح، وتوحي بأن هذا التيسير ينبغي ألا يتجاوز حدود الرخصة إلى التوسع أو التجوز الذي لا يحمد عقباه.

٢- **كلمة "بِحَرْبٍ"** في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾(٣).

---

(١) انظر: روح المعاني للألوسي ج٢ ص١١٦ نشر دار التراث بالقاهرة.

(٢) انظر: لسان العرب، والمعجم الوسيط: مادة "عنت" وروح المعاني للألوسي ج٢ ص١١٧ .

(٣) البقرة: ٢٧٨-٢٧٩.

فكلمة "بحرب" هنا وقعت موقعاً لا يمكن لأي بديل لغوي أن يقوم مقامها فيه، فهي المعادل اللغوي الأنسب والأدق، القادر على ردع النفوس المتعلقة بالمال، القابلة للربا أو المتحايلة عليه، فتعلق بعض الناس بالمال، وبخاصة الكسب السهل السريع عن طريق الربا لا يردعه إلا علم هؤلاء بأنهم إنما يحاربون الله ورسوله، وهي حرب معلومة النتائج، مدمرة لمن يتعدى حدود الله أو يخرج على شريعته، وقد سئل سيدنا عبد الله بن عباس {: أي آية في كتاب الله أشد؟ فقال لقد قرأت ما بين الدفتين فما وجدت آية في كتاب الله تعالى أشد من آية الربا لقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[1]،ويقول نبينا ﷺ: " ما ظهر في قوم الزنا والربا إلا أحلوا بأنفسهم عذاب الله"[2].

٣- **كلمة** "تَدَايَنتُم" في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾[3].

ففي قوله تعالى "تَدَايَنتُم" صيغة مفاعلة، تفيد المشاركة ووقوع الفعل من كلا الطرفين، وهما هنا الدائن والمدين، مما يفيد أن الأمر بكتابة الدين موجه إليهما معاً، لا إلى الدائن فقط. مما يجعل حرص المدين على كتابة دينه واستجابته لأمر الله تعالى في ذلك

---

(١)البقرة: ٢٧٩.

(٢)أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب، والحاكم في مستدركه، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣)البقرة: ٢٨٢.

كحرص الدائن على ذلك سواء بسواء، لا كما نـراه فـي بعـض نماذج عصرنا الحاضر من أنفة المدين من كتابة الدين، واعتبـار ذلك خدشاً لكرامته ونيلاً من الثقة فيه، بل ينبغي أن يكون حرص المدين على كتابة الدين أشد، لأنه إذا لقى الله وعليه دين، ولم يقم أحد بالاعتراف به وقضائه عنه وقع تحت طائلة قوله ﷺ: "والذي نفسي بيده لو قتل أحدكم في سبيل الله ثم عاش ثم قتل ثم عـاش ثم قتل، وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضى دينه"(١).

وفي قوله تعالى: "إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ" ما يفيد ضبط موعـد الـسداد بالسنين والأيام والشهور، ولا بأس أيضاً بإضافة مكـان الـسداد ومحله، فكل ما يكفل سداد الدين وأداءه بلا لبس ولا مماطلة يعـد مطلبا شرعيا، ولا ينبغي أن يكون أجل السداد ملبساً غير معلـوم الزمن، كأن يقول له سأسدد دينك إذا بعت داري أو عاد ولدي من السفر ونحوه مما لا يضبط بعام معين وشهر معين ويوم معين.

٤- **كلمة** "وَلَا يُضَآرَّ" في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾(٢).

فهي – هنا – كما يذكر كثير مـن المفـسرين مبنيـة للفاعـل والمفعول معاً، ويفسر ذلك قراءة من قـرأ بالفـك والكـسر "ولا يضارِرْ" وقراءة من قرأ بالفك والفتح، "ولا يضارَرْ" فعلى القـراءة الأولى يكون المعنى ولا يضارِرْ كاتب ولا شهيد الدائن أو المدين، فعلى الكاتب أن يكتب بالعدل، وعلى الشاهد أن يشهد بالحق.

---

(١)أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

(٢)البقرة: ٢٨٢.

وعلى القراءة الأخرى يكون المعنى ولا يضارُ كاتب ولا شهيد، أي ولا يُضرّ كاتب ولا شهيد، ذلك أن بعضهم كان يذهب إلى الكاتب فيعجله عن أمره يقول له: اكتب الآن لأن الله تعالى يقول: "ولا يأب كاتب أن يكتب" كما أن بعضهم قد لا يوفى الكاتب حقه، وذلك بأن يكون الكاتب محترفاً الكتابة منقطعاً لها كما هو الشأن في مهنة المحاماة الآن فلا يوفيه المستكتب حقه وأجر كتابته، فجاء النهي عن مضارة الكاتب بإعجاله عن أساسيات حياته أو عدم توفيته حقه على كتابته إن كان منقطعاً لها محترفاً إياها.

ولا ينبغي أيضاً أن يضار الشاهد أو الشهيد كأن تكلفه مؤنة الانتقال من محافظة إلى أخرى أو من دولة إلى أخرى ليشهد معك أو لك، وقد لا تساعده إمكاناته المادية على هذا الانتقال، فلا تحمله فوق طاقته، بل على صاحب المصلحة في الشهادة أن يتحمل مؤنة نقل الشاهد إلى مكان الشهادة، وبخاصة إذا كان الشاهد رقيق الحال لا يقوى على مؤنة النقل، بل أقول إن الشاهد إذا كان ممن يكسب قوته وقوت أبنائه يوماً بيوم، وكان تفرغه وذهابه للشهادة في هذا اليوم سيضر بقوته وقوت أبنائه فإن على صاحب المصلحة في الشهادة أن يعوضه عما يلحقه من ضرر بأن يدفع له ما يوازي أجر هذا اليوم الذي يتعطل فيه عن كسب قوته وقوت أبنائه.

٥- **كلمة "ٱلۡخَاطِـِٔينَ"** في قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ﴾(١).

يقول النحويون إن جمع المذكر قد يطلق على جمع المؤنث على سبيل التغليب، لكن النحويين والأصوليين يتفقون على أن ما جاء على أصله لا يسأل عن علته وما جاء على خلاف الأصل فلا بد لخروجه على هذا الأصل من علة.

وهنا نكتة هامة في العدول عن صيغة جمع المؤنث: "الخاطئات" إلى صيغة جمع المذكر: "الخاطئين"، ذلك أن الأصل في المرأة أن تكون مطلوبة وأن تكون معززة، وأن تكون ممنعة، وأن تكون متأبية. والمرأة العربية الأصيلة تمتدح بالإباء والتمنع. والأصل في الرجل أن يكون خاطباً وطالباً ومتودداً – وفق شرعة الله ومنهجه –، فلما عكست امرأة العزيز الفطرة الإنسانية السليمة السوية، وتقمصت شخصية الرجال – فهي التي طلبت، وهي التي راودت، وهي التي هيأت – فلما فعلت ذلك جاء التعبير اللغوي على خلاف الأصل ليناسب حالها المعكوس، وكأن النص القرآني يلفت أنظارنا إلى أن ما كان من امرأة العزيز هو خلاف ما تقتضيه الفطرة الإنسانية النقية، فكان التعبير بلفظ "الخاطئين" هو المعادل اللغوي الأنسب والأدق لما كان من امرأة العزيز.

٦- **كلمة "فَٱسۡتَعۡصَمَ"** في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ﴾(٢).

---

(١) يوسف: ٢٩.

(٢) يوسف: جزء من الآية ٣٢.

فكلمة "استعصم" هي المعادل اللغوي الأدق لتصوير عفة يوسف عليه السلام. ووقوفه كالجبل الشامخ الأشم في مواجهة إغراء امرأة العزيز له، فهو لم يعتصم بحبل الله فحسب، لكنه "استعصم".

وإذا كانت زيادة المبني زيادة في المعنى فإنه قد قابل زيادة إغرائها تارة وتهديدها أخرى بمزيد من الاستعصام بحبل الله المتين.

يقول الزمخشري: إن الاستعصام بناءٌ مبالغةٌ تدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو مجتهد في الاستزادة منها(١).

بل إن يوسف عليه السلام قد قابل تهديدها له بالسجن بدعائه ربه ﷻ أن يصرف عنه كيدهن حتى لو كان ذلك بإلقائه في السجن، حيث قال – كما تحدث القرآن الكريم على لسانه –: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾(٢).

فقد طلب يوسف عليه السلام العصمة واستمسك بها في صلابة ورباطة جأش حتى استجاب له ربه، وهو ما يصوره قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾(٣).

٧- كلمة "ضيزى" في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾(٤).

---

(١) الكشاف للزمخشري ج٢ ص٣١٨ ط مصطفى الحلبي بالقاهرة سنة١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.

(٢) يوسف: جزء من الآية ٣٣.

(٣) يوسف: الآية ٣٤.

(٤) النجم: ٢٢.

والقسمة الضيزى هي القسمة الظالمة أو الجائرة المائلة عن الحق، يقال: ضاز في الحكم أي جار، وعليه قول الشاعر:

ضازت بنو أسد بحكمهم إذ يجعلون الرأس كالذنب

فلماذا آثر النص القرآني التعبير بكلمة "ضيزى" دون سواها؟

ينظر بعض الكتاب إلى الجانب الإيقاعي، فيقول: إن كلمة "ضيزى" وقعت هذا الموقع مراعاة للفاصلة، وانسجاماً مع كلمات: "الكبرى"، "العزى"، "الأخرى"، "الأنثى"، في الفواصل التي قبلها، و"الهدى"، "تمنى"، "الأولى"، في الفواصل التي بعدها(١).

وأرى أن مجرد الإيقاع الصوتي ومراعاة الفواصل لا يمكن أن يكون أساسا لتفسير النص القرآني وفهم أسراره. فالفاصلة في القرآن الكريم جزء من صلب المعنى، فإنها تنبثق من روح المعنى ولا تأتي إلا إذا اقتضاها المقام وتطلبها السياق بحيث لا يصلح في مكانها غيرها.

فالسياق الذي وردت فيه كلمة "ضيزى" فيه غرابة موضوعية هي تلك القسمة الجائرة التي أنكرتها الآية السابقة لهذه الآية ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾؟، ولفظ "ضيزى" بجرسه وإيقاعه ومعناه إنما هو أدق معادل لغوي لغرابة قسمتهم الجائرة التي جعلوا فيها لله البنات – سبحانه – واختصوا أنفسهم فيها بالبنين، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً(٢).

على أني أؤكد على أمرين:

---

(١) انظر: المثل السائر لابن الأثير ج١ ص١٧٧.

(٢) انظر: دلالات الألفاظ وسر الكلمة في القرآن الكريم د. عاطف المليجي ص٢٨. ٢٩.

أحدهما: أن الغرابة أمر نسبي، فربما كان اللفظ غريباً بالنسبة لنا لبعدنا عن عصر نزول القرآن الكريم، وضعف ثقافتنا اللغوية، لكنه لم يكن غريباً على من نزل عليهم هذا القرآن.

الآخر: أن كل كلمة في القرآن الكريم قد وقعت موقعها الذي يتطلبه المقام أو السياق، بحيث لا يمكن لغيرها أو نظيرها أو مرادفها أن يقوم مقامها فيه، وأن لا شيء في القرآن قد ورد لمجرد مراعاة الفواصل أو التحسين اللفظي، أو مراعاة للانسجام الصوتي، إنما كان لكل كلمة أو موقع أثر د في المعنى المراد.

ثانياً: في مجال سياق النص والبنى الأسلوبية:

١- في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟﴾[1].

ففي قوله تعالى: "وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ" قدمَّ الصغير على الكبير للاهتمام به، ولتسامح الناس فيه غالبًا، وعدم انشغالهم بكتابته، فإذا جاء الأمر بكتابة الدين القليل أو الصغير والنهي عن السآمة من كتابته أولاً كانت العناية بكتابة الكثير أولى، وذلك حتى لا يضجر أحد أو يضيق بكتابة الدين دائناً كان أم مديناً، صغيراً كان هذا الدين أم كبيراً.

"ذلكم أقسط" أي أعدل، وأقوم للشهادة، وأدعى إلى عدم الشك والريبة في قيمة الدين، أو في نية المدين للسداد، أو في الأجل المحدد لسداد الدين، فهو أقطع لكل أوجه الخلاف، وأدعى لطمأنينة القلب لدى كلا الطرفين، وقد حملت الإشارة بـ "ذلكم" كل هذه المعاني.

٢- قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[2].

في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ قدم هبة الولد لزكريا عليه السلام على إصلاح زوجه، على أن النظر في ترتيب الأسباب والمسببات العادية يقتضي أن يتقدم إصلاح الزوج

---

(١) البقرة: ٢٨٢.

(٢) الأنبياء: ٨٩، ٩٠.

على إنجاب الولد. لكن النص القرآني جاء على خلاف ذلك. لأن قدرة الله ﷻ ومشيئته لا يحدهما أسباب ولا مسببات فإنما أمره سبحانه وتعالى: ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (١). فكأنه ﷻ يقول نحن قادرون على أن نهب ما نشاء لمن نشاء بأسباب أو بلا أسباب، فنحن قادرون على أن نهب لزكريا أو غيره الولد سواء أصلحنا له الزوج أم لم نصلحها. فما هو عجيب مستغرب عندنا إنما هو سهل يسير في جانب قدرة الله ﷻ، وهو ما أجابت به الملائكة زوج إبراهيم عليه السلام عندما أبدت دهشتها وتعجبها في مثل هذا الموقف. وهو ما يصوره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ۝٧١ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٧٢ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ (٢).

إضافة إلى أن تقديم الهبة على الإصلاح تقديم للبشرى، وهي الاهم في مثل هذا الموقف. إذ تأتي البشرى أولاً للمتلهف لها، ثم يأتي بعد ذلك تفصيل الكلام أو ذكر الأسباب وبيان الحال.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ بيان وتعليل لسرعة استجابة الدعاء، ولما ينبغي أن يكون عليه حال من يرجو إجابة دعائه من حسن الصلة بالله ﷻ، والمسارعة في الخيرات، والدعاء سراً وعلناً، رغباً ورهباً، في قنوت وخشوع وتضرع واستكانة لله رب العالمين،

---

(١) يس: ٨٢.

(٢) هود: ٧١، ٧٣.

فزكريا وآله & لم يكونوا يفعلون الخيرات فحسب إنما كانوا يسارعون فيها مع ملازمتهم الدعاء سراً وعلانية رغباً ورهباً، وكانوا لله الواحد الأحد خاشعين.

٣- **قوله تعالى على لسان زكريا** عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾[١]، وفي سورة مريم: ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾[٢].

ذلك أن أيام العرب وشهورهم وسنيهم قمرية، فالليل في حسابهم يسبق النهار، ففي التاسع والعشرين من شعبان نترقب هلال رمضان فإذا ظهر هلال رمضان كانت أول ليلة من ليالي رمضان ثم يعقبها أول يوم منه، وهكذا في هلال شوال وسائر الشهور.

وسورة مريم التي جاء فيها ذكر الليالي مكية، وسورة آل عمران التي جاء فيها ذكر الأيام مدنية، وسورة مريم سابقة في نزولها لسورة آل عمران، فجعل السابق للسابق واللاحق للاحق.

٤- **في قوله تعالى على لسان إبراهيم** عليه السلام: ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٣].

لم يستخدم النص القرآني طباق السلب فلم يقابل "فمن تبعني" بمن لم يتبعني، واستخدم طباق الإيجاب في قوله: "ومن عصاني"، لأنه لو قال ومن لم يتبعني لشمل الحكم من بلغته دعوته عليه السلام

---

(١) آل عمران: ٤١.

(٢) مريم: ١٠.

(٣) إبراهيم: ٣٦.

ومن لم تبلغه هذه الدعوة، أما حين قال: ومن عصاني فقد اقتصر الأمر على من بلغته الدعوة وعصى، وهذا من رحمة الله بعباده، حيث يقول سبحانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[١]، غير أنه تبقى مسئولية كبيرة على الدعاة في البلاغ المبين وتوصيل رسالة خاتم الأنبياء محمد ﷺ إلى العالمين.

٥- **في قوله تعالى على لسان إبراهيم** عليه السلام في سورة البقرة: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا﴾[٢]، وفي سورة إبراهيم ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾[٣].

في الآية الأولى الكلام عن واقع معين حين زار إبراهيم عليه السلام المكان قبل أن يصبح بلداً، فدعا عليه السلام لهذا المكان أن يكون بلداً وأن يكون آمنا فـ "بلدا" مفعول ثان لـ "اجعل"، و "آمنا" صفة لـ "بلداً".

أما دعوته عليه السلام بأن يجعل البلد آمنا فهي بعد أن صار المكان بلداً، فدعا إبراهيم عليه السلام ربه أن يجعل هذا البلد آمنا فكلمة "البلد" بالألف واللام بدل من اسم الإشارة، و "آمنا" هي المفعول الثاني لـ "اجعل".

ففي سورة البقرة دعا إبراهيم عليه السلام للمكان بدعوتين: الأولى أن يكون بلداً، والأخرى أن يكون أمنا، أما في سورة إبراهيم عليه السلام فقد دعا للمكان بعد أن صار بلداً أن يكون آمنا تأكيداً منه في الدعوتين على مطلب الأمن لأهل هذا البلد، وهو ما استجاب له

---

(١) الإسراء: ١٥.

(٢) البقرة: ١٢٦.

(٣) إبراهيم: ٣٥

رب العزة فقال سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾(١).

٦- في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾(٢).

جاءت التراكيب "ٱلَّذِى خَلَقَنِى"، "وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى"، "وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى" بدون ضمير الفصل "هو" في حين جاءت التراكيب: "فَهُوَ يَهْدِينِ"، "هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ"، "فَهُوَ يَشْفِينِ". مشتملة على ضمير الفصل "هو"، وذلك لأن الأفعال الأولى المتمثلة في الخلق والإماتة والإحياء ومغفرة الذنوب لا يجادل فيها أحد، بل إن أكثر الناس على التسليم المطلق فيها لله ﷻ، أما جانب الرزق المعبر عنه بالإطعام والسقيا، وجانب الشفاء، وجانب الهداية إلى الصراط المستقيم، فهو مما يغفل كثير من الخلق عن الاعتماد على خالقهم فيه، وتهتز عند بعضهم فيه قضية التسليم المطلق، فتجد منهم من يخادع أو ينافق أو يغش ظناً منه أن ذلك قد يجلب له نفعاً في الرزق أو يدفع عنه ضرراً، ناسياً أنه لن تموت نفس حتى تستوفي أجلها ورزقها، كما أن بعض الناس قد يذهب في مسألة التداوي إلى بعض الدجالين والعرافين والمشعوذين أو بعض الأضرحة يلتمس عندها الشفاء، فلما كان الحال عند بعض الناس في هذه الأمور ينقصه اليقين المطلق في الله ﷻ جاءت هذه الأفعال مؤكدة بضمير الفصل ليؤكد

---

(١) القصص: ٥٧.

(٢) الشعراء: ٧٨، ٨٢.

النص القرآني أن رب الخلق، والإحياء والإماتة، هو رب الهداية ورب الإطعام، ورب السقيا، ورب الشفاء، فكما أنه لن تموت نفس حتى تستوفي أجلها ورزقها، فليس من الإيمان واليقين أن تفوض الأمر إليه هنا ولا تفوضه إليه هناك، فهو وحده القادر على كل ذلك، والأمر كله له ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (١).

٧- في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝٧٢ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ (٢).

ففي قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ استخدم النص القرآني لفظ يسمعون مع أن الدعاء يناسبه الإجابة - نقول منا الدعاء ومنك الإجابة، يقول الحق سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (٣)، ويقول جل في علاه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (٤) - وذلك لأن هذه الأصنام العائد إليها الضمير في قوله تعالى "هل يسمعونكم" لا تسمع أصلاً، وإذا انتفى السماع من أساسه فلا أمل ولا تفكير في الإجابة على الإطلاق، فإذا قيل لك هل أجابك فلان؟ فقلت إنه لا يسمعني أصلاً أو لا يريد أن يسمعني، كان ذلك قطعاً منك للأمل في إجابته إياك، وهذا هو حال الأصنام التي لا تسمع، فكيف تجيب؟!

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ ذكر مفعول ينفع وحذف مفعول يضر، لأن هذه الأصنام إذا كانت لا تنفع من يعبدها

---

(١) يس: ٨٢.

(٢) الشعراء: ٧٢، ٧٣.

(٣) غافر: ٦٠.

(٤) البقرة: ١٨٦.

ويتقرب إليها. فهل يتصور أن تنفع من لا يعبدها ولا يتقرب إليها؟!

أما حذف مفعول يضر فلتأكيد أن هذه الأصنام لا تضركم أنتم ولا تضر غيركم، حتى من يعاديها ويحاربها، ولو كانت تستطيع فعليها أن تضر من يكيد لها ويقوم بتحطيمها وجعلها جذاذاً.

كما أنها لا تستطيع - أيضاً - أن تضركم إذا تركتم عبادتها إلى عبادة الواحد الأحد، وما دامت هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر فهل يستحق من هذه صفته من العجز أن يُعبد؟! وهل يمكن لعاقل أن يعبد من هذا حاله؟!

٨- **في قوله تعالى**: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ۝٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[1].

أ- عبر النص القرآني في جانب الرحمة والنعماء بلفظ الإذاقة للتأكيد على أن النعمة قد وصلت إلي الإنسان، وذاق حلاوتها، واستمتع بها، طال الزمن في ذلك أم قصر، أما في جانب الضراء فقد عبر الحق سبحانه بكلمة "مسته" للإشعار بأن الضراء كانت في أدنى درجاتها، فقد مسته مجرد مس، وهو أدنى درجات الالتقاء أو الملاقاة، وفي ذلك من اللطف الإلهي ما لايخفى، وتأكيد على أن الإنسان خلق ضعيفاً، وأنه ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾[2].

---

(١) هود: ٩، ١١.

(٢) المعارج: ٢٠: ٢٣.

ب- في إسناد الإذاقة إلى الله ﷻ تأكيد على أنها فضل نعمة مساقة من الله إلى عباده وخلقه، أما المس فقد أسند إلى الإنسان، لأن العقاب بإزالة النعم والحرمان منها إنما يكون لتقصير الإنسان في شكرها، يقول الحق سبحانه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾(١)، ويقول عز وجل: ﴿ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾(٢)، وقد يكون ذلك ابتلاء واختباراً، فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط، وهذا ما يشير إليه حديث نبينا ﷺ: "عجباً للمؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له"(٣).

ج- في التعبير بقوله تعالى: "تزعناها" دون غيره، كنحو: سلبناها أو أزلناها أو أخذناها، ما يدل على شدة تعلق الإنسان بالنعمة وحرصه عليها كما هو الحال في شأن الملك، وهو ما يبينه قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٤) فالإتيان فيه سهولة ويسر، وفي النزع دلالة على شدة تعلق المنزوع منه بالمنزوع.

د- استخدم النص القرآني صيغ المبالغة: "يئوس"، "كفور"، "فرح"، "فخور" للدلالة على شدة اليأس وكفران النعمة عند هذا

---

(١) إبراهيم: ٧.

(٢) النساء: ٧٩.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(٤) آل عمران: ٢٦.

النوع من البشر في الحالة الأولى التي هي زوال النعمة عنه، وشدة الفرح وهو هنا بمعنى البطر والأشر والاستعلاء على الناس في الحالة الثانية التي هي سوق النعمة إليه، إلا من استثناه الله ﷻ وهم الذين صبروا في الضراء وشكروا في النعماء.

٩- **قوله تعالى**: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾[١]، حيث جاءت كلمة "فتحت" غير مسبوقة ولا مقرونة بالواو، وقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾[٢]، حيث جاءت كلمة "وفتحت" مسبوقة بالواو.

وهذه الواو التي جاءت في قوله تعالى: "وفتحت" في الحديث عن أهل الجنة قال بعض العلماء والمفسرين إنها واو الحال، والمعنى جاءوها والحال أنها مفتوحة، وذلك من زيادة إكرام الله ﷻ لعباده المؤمنين أن جعل الجنة مفتحة الأبواب مهيأة لاستقبالهم قبل قدومهم إليها، والحال ليس كذلك مع أهل النار بل إن النار تأخذهم بغتة.

وقال بعض المفسرين واللغويين إن هذه الواو واو الثمانية ذلك أن بعض القبائل العربية كانت تعد، فتقول: واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، وثمانية، فتأتي بالواو مع العدد الثامن، وذكروا لذلك شواهد منها قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾[٣].

---

(١) الزمر: ٧.

(٢) الزمر: ٧٣.

(٣) الكهف: ٢٢.

وقوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾[2]، مع أن الواو في هذه الآية لها معنى آخر وهو إفادة التنويع ولا مانع أن يتضمن الحرف أكثر من معنى.

وقد ذكرت واو الثمانية في قوله تعالى: "وفتحت" في الحديث عن أهل الجنة دون قوله تعالى: "فتحت" في الحديث عن أهل النار، ذلك لأن أبواب النار سبعة لقوله تعالى في الحديث عنها: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾[3]، أما أبواب الجنة فثمانية لقول نبينا ﷺ: مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنْ الْمُتَطَهِّرِينَ فُتِحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ"[4].

فلما كانت أبواب الجنة ثمانية عُبّر معها بالواو، ولما كانت أبواب جهنم سبعة لم يؤت معها بالواو، وفي كون أبواب الجنة ثمانية وأبواب جهنم سبعة ما يدل على أن رحمة الله ﷻ أوسع من غضبه.

١٠- قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[5].

---

(١) التوبة: ١١٢.

(٢) التحريم: ٥.

(٣) الحجر: ٤٤.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه.

(٥) الأنعام: ١٥١.

فقد قدم ضمير المخاطبين في قوله تعالى: "نرزقكم" على ضمير الغائبين في قوله تعالى "نرزقهم"، وفي سورة الإسراء جاء الترتيب عكس ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾[1].

وكل قد وقع موقعه، ففي الآية الأولى يقول الحق سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ﴾، فمن هنا لبيان الحال، أي لا تقتلوا أولادكم بسبب الفقر الواقع بكم خشية أن يزيدكم هؤلاء الأولاد فقراً على فقركم، ولما كان الفقير مشغولا دائما بحاله وواقعه ورزق يومه طمأنه الحق عز وجل على ذلك بقوله تعالى: "نحن نرزقكم" فبدأ بما يناسب حال المخاطبين، ثم ثنى بقوله تعالى: "وإياهم" ليطمئنهم أيضاً على أبنائهم من بعدهم.

أما في آية سورة الإسراء فيقول سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ﴾ وأمر منطقي أن الذي يخشى الإملاق والفقر هو الغني لا الفقير، يقول الشاعر:

ألم تر أن الفقر يرجى له الغنى وأن الغني يخشى عليه من الفقر

والغني – غالباً – مشغول بحال أبنائه وتربيتهم وتدبير أمورهم أكثر من انشغاله بحال نفسه، فكان الأنسب لحاله أن يطمئنه الحق سبحانه المخاطبين هنا على ما يشغلهم وهو رزق أبنائهم، فبدأ بقوله سبحانه "نحن نرزقهم" ثم ثنى بالحديث عن رزقهم هم في

---

(١) الإسراء: ٣١.

قوله : "وإياكم"، وكأنه سبحانه وتعالى يقول لهم: كما رزقناكم فنحن بقدرتنا ومشيئتنا نرزق أبناءكم أيضاً.

وبهاتين الآيتين معاً يقطع النص القرآني الحجة على الفقير والغني معاً، ويزيل العلة التي من أجلها قد يقدم هذا أو ذاك على كبيرة قتل الأولاد من الفقر أو خشية الفقر، فلا عذر بعد ذلك لفقير ولا لغني، لأن الله ﷻ هو المتكفل برزق هذا وذاك، بل إنه تكفل برزق كل دابة يقول سبحانه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[1].

١١- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[2].

ففي تقديم كلمة "شركاء" على كلمة "الجن" في هذه الآية فائدة جليلة ومعنى مقصود لذاته لا سبيل إليه مع التأخير، يقول الإمام عبد القاهر: وبيان ذلك أننا وإن كنا نرى جملة المعنى ومحصوله أنهم جعلوا الجن شركاء وعبدوهم مع الله تعالى، وكان هذا المعنى يحصل مع التأخير حصوله مع التقديم، فإن تقديم الشركاء يفيد هذا المعنى ويفيد معنى آخر، وهو أنه ما كان ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجن ولا من غير الجن، وإذا أخر فقيل جعلوا الجن شركاء لله لم يفد ذلك ولم يكن فيه شيء أكثر من الإخبار عنهم بأنهم عبدوا الجن مع الله تعالى، أما إنكار أن يعبد مع الله غيره.

---

(١) هود: ٦.

(٢) الأنعام: ١٠٠.

وأن يكون له شريك من الجن وغير الجن فلا يكون في اللفظ مع تأخير الشركاء دليل عليه[١].

ففي تقديم الجن على شركاء يتوجه الإنكار إلى كون الجن شركاء لله، فيكون خاصاً بذلك، أما في تقديم شركاء على الجن فيكون الإنكار متوجهاً إلى مطلق اتخاذ شريك لله سواء من الجن أم من غيرهم، ويدخل اتخاذ شريك لله سواء من الجن أم من غيرهم في هذا الإنكار، ثم يأتي ذكر الجن بعد كلمة "شركاء" ليتوجه إليه الإنكار مرة أخرى على سبيل الخصوص، فيكون النص القرآني قد أنكر عليهم اتخاذهم لله ﷻ شركاء من دونه سواء من الجن أم من غيرهم ثم زادهم إنكاراً أو توبيخاً على خصوصية اتخاذهم الجن شركا لله، تعالى الله عن إفكهم وشركهم علواً كبيراً.

(١) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر ص٢٧٦ تحقيق د. محمد رضوان الداية، د. فايز الداية، نشر مكتبة سعد الدين – دمشق سنة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، الطبعة الثانية.

خاتمة

وختاماً أسجل الآتي:

١- أن طريقة التعبير عن الأفكار أو العواطف أو الأحاسيس إذا جاءت في أعلى درجات المشاكلة وإصابة المحز في التوافق والمواءمة بين اللفظ والمعنى، سواء تضمنت رمزاً أو قناعاً أم لم تضمن شيئاً من ذلك - فإننا يمكن أن نطلق عليها مصطلح "المعادل التعبيري"، وهو المصطلح الأعم.

٢- أن هذه الطريقة إذا تضمنت رمزا أو قناعا أو خلق موقف أو سلسلة من المواقف تعادل العواطف والمشاعر والأفكار - فإننا يمكن أن نطلق عليها مصطلح "المعادل الموضوعي"، فتكون العلاقة بينه وبين "المعادل التعبيري" علاقة عموم وخصوص مطلق، فكل معادل موضوعي هو معادل تعبيري ولا عكس.

٣- أن طريقة التعبير اللغوي إذا لم تتضمن رمزاً ولا قناعاً، وكانت في قمة المشاكلة بين الألفاظ ومعانيها - فإننا يمكن أن نطلق عليها مصطلح "المعادل اللغوي"، وتكون العلاقة بينه وبين المعادل التعبيري علاقة عموم وخصوص مطلق - أيضاً -، فكل معادل لغوي هو معادل تعبيري ولا عكس.

٤- أن المعادل اللغوي إذا قصد به قمة المشاكلة بين اللفظة ومعناه فإننا يمكن أن نطلق عليه مصطلح "المعادل اللفظي"، وإذا قصد به قمة المشاكلة بين الجملة أو العبارة وما تعبر عنه من عواطف ومشاعر وأفكار فإننا يمكن أن نطلق عليه مصطلح

"المعادل الأسلوبي".

٥- أن قضية المعادل اللغوي وإن لم يتناولها نقادنا القدماء كمصطلح نقدي فإنها ضاربة بجذور راسخة في تنظيرهم لقضية المواءمة والمشاكلة بين الألفاظ ومعانيها، وفي تطبيقاتهم لهذه القضية.

٦- أنني اخترت التطبيق على بعض جوانب النص القرآني، لأن القرآن الكريم هو - جملة وتفصيلاً - في أعلى درجات البلاغة والبيان، وعلى ذروة سنام قمة المشاكلة بين الألفاظ ومعانيها، وكيف لا يكون كذلك وهو كلام رب العالمين، ومعجزة الإسلام الكبرى؟ لم تلبث الجن إذ سمعته إلا أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾[1]، وما أن سمع أحد الأعراب قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[2]، حتى انطلق لسانه قائلاً: أشهد أن هذا كلام رب العالمين لا يشبه كلام المخلوقين وإلا فمن هذا الذي يستطيع أن يأمر الأرض أن تبلع ماءها فتبلع؟ ويأمر السماء أن تكف عن إنزال الماء فتقلع؟!

ولعل هذه البلاغة العالية التي لا تدانيها بلاغة هي التي دفعت كاتبا كطه حسين إلى أن يقول: الكلام شعر ونثر وقرآن، ذلك لأن القرآن الكريم وإن كان من جنس كلامهم وحروفهم إلا أنه نسيج وحده في الفصاحة والبلاغة والبيان، إذ لا تكاد ألفاظه تصل إلى

---

(١) الجن: ١، ٢.

(٢) هود: ٤٤.

الأسماع حتى تكون معاينة قد وصلت إلى القلوب، فيهجم عليك الحسن منه دفعة واحدة، فلا تدري أجاءك من جهة لفظه أم من جهة معناه، وصدق الحق سبحانه إذ يقول: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾[1]

والله من وراء القصد،س وهو حسبنا ونعم الوكيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصل اللهم على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

---

(١) فصلت: ٤١: ٤٢.

أهم المصادر والمراجع

١- بيان إعجاز القرآن للخطابي (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم للرماني والخطابي وعبد القاهر) تحقيق محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٩١م.

٢- خطاب النقد العربي: بنيته، آلياته وأنساقه المعرفية، أ.د/ محمد طه عصر، ط شركة ناس للطباعة سنة ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٣- دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر تحقيق د. محمد رضوان الداية ود. فايز الداية، نشر مكتبة سعد الدين بدمشق، سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م الطبعة الثانية.

٤- دلالات الألفاظ وسر الكلمة في القرآن الكريم د. عاطف المليجي، ط المؤلف سنة ٢٠٠٢م.

٥- روح المعاني للألوسي، نشر دار التراث بالقاهرة، بدون تاريخ.

٦- سينية البحتري: شاعرية المكان، المعادل الموضوعي، الرسم بالكلمات. أ.د/ زكريا النوتي ط شركة ناس للطباعة سنة ٢٠٠٤م، الطبعة الأولى.

٧- شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، تحقيق أحمد أمين، وعبد السلام هارون، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م.

٨- عيار الشعر لابن طباطبا، تحقيق د. عبد العزيز بن ناصر المانع، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٩- في نقد الشعر د. محمود الربيعي، نشر دار غريب للطباعة والنشر بالقاهرة.

١٠- الكشاف للزمخشري، ط مصطفى الحلبي بالقاهرة سنة

١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.

١١- المثل السائر لابن الأثير، تقديم وتعليق د. أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة، ط نهضة مصر.

١٢- المختار من نقد: ت.س إليوت، اختيار وترجمة ماهر شفيق فريد، تقديم د. جابر عصفور، نشر المجلس الأعلى للثقافة سنة ٢٠٠٠م.

١٣- المرايا المقعرة د. عبد العزيز حمودة، نشر سلسلة عالم المعرفة، عدد رقم ٢٧٢ إصدار أغسطس ٢٠٠١م.

١٤- المصطلحات الأدبية الحديثة. د. محمد زكريا عناني، ط مطابع الأهرام التجارية، نشر الشركة العالمية وشركة أبي الهول للنشر سنة ٢٠٠٣م، الطبعة الثانية.

١٥- المعادل الموضوعي في الشعر الجاهلي، أ.د/ كاظم الظواهري، نشر دار الهداية سنة ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، الطبعة الأولى.

١٦- المنهج الموضوعي في النقد الأدبي: دراسة، لمحمد عزام، نشر اتحاد الكتاب العرب سنة ١٩٩٩م.

١٧- نصوص نقدية لأعلام النقاد العرب لأستاذنا الدكتور/ محمد السعدي فرهود "رحمه الله" ط دار الطباعة المحمدية سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

١٨- الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، نشر دار الكتب العربية - بيروت، سنة ١٣٨١هـ - ١٩٦٦م.

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة
مقدمة	٣
المبحث الأول: المعادل اللغوي: تأصيل نقدي.	٧
مفهوم المصطلح.	٨
الجذور التراثية للمصطلح.	١٤
المبحث الثاني: المعادل اللغوي دراسة تطبيقية في ضوء النص القرآني	١٩
أولا: في مجال اللفظة المفردة	٢٠
ثانيا: في مجال سياق النص والبنى الأسلوبية	٣٠
خاتمة	٤٣
أهم المصادر والمراجع	٤٦